# اهتمام بني أمية بالعلوم في الاندلس

وُضع سلطان العلم وعظمة العلماء منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس. فقد عمل العرب بعد انتهاء فتوحاتهم في شبه جزيرة أيبيريا على صبغ هذه البلاد بالصبغة العربية. وانصرف العرب بعد فتح الأندلس إلى الاهتمام بالعلوم والآداب والفنون.

إنّ المجتمع الاسلامي الأندلسي، مجتمع مسلم، نشأ محباً للعلم وأهله، وفطر أبناؤه على ذلك، لأنّ العلم فرض في العقيدة الإسلامية على كل مسلم ومسلمة، ولا يمكن أن يكون المسلم غير متعلّم أو مثقّف، وإنَّ محبة العلم كانت عامة يقدرها الناس ويحثون عليه

لقد كان العلم فريضة على الجميع، ومن ثَمّ فإنّه لم يعتل عرش الأندلس،

وكان العلم منتشراً في الأندلس، وأصبحت الأندلس في مقدمة البلاد التي كان لها أثر رائع في حضارة العلوم. وكان المسلمون الاندلسيون يسارعون في اكتساب المعارف والعلوم المختلفة. وكانت أهم العلوم التي يقبل عليها الأندلسيون الفقه والحديث وعلم الأصول والقراءات والنحو وعلوم اللغة.

وامتاز الأندلسيون بالسرعة الغريبة في تلقف علوم العالم القديم، من فلسفة وتاريخ وحساب وجبر وهندسة وفلك وعلوم طبيعية. وظهر في الأندلس عدد لا حصر له من العلماء والأطباء والنباتيين ومختلف أنواع العلوم. وقد طبع الفكر الإسلامي أهالي هذه البلاد بطابعه الخاص.

وترجم المسلمون الأندلسيون كتب اليونان واللاتين، فكان لهم من ذلك حظ لا يقل كثيراً عن حظ خلفاء العباسيين في الشرق. وتفردوا خاصة بعلم

النبات، نشروه في مدارس لهم كثيرة، منها مدارس قرطبة وطُلَيْطلة وإشبيلية

كان اهتمام الأندلسيين بالفلسفة في عهد الدولة الأموية في الأندلس ضعيفًا، لما كانوا عليه من ميل ديني للمذاهب الفقهية التي تعتمد على النصوص، بل وكانوا يرمون من يشتغل بالفلسفة بالزندقة. ورغم هذا الجو القاتل لهذا العلم ظهر في هذا العهد واحدٌ من الفلاسفة اللامعين؛ ابن مسرة، الذي رحل إلى المشرق، واختلط بالمشتغلين بالفلسفة في الشرق وتأثر بهم، وعاد إلى الأندلس ناشرًا فكره، لكنه لم يسلم من اتهام الفقهاء له ولأتباعه بالزندقة، مما دفع الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله لملاحقة أتباعه للقضاء على مذهبه. ورغم ذلك، لم يمنع هذا التضييق على الفلسفة والفلاسفة الخليفةَ الحكم المستنصر بالله، الشغوف باقتناء الكتب، أن يجمع عددًا من كتب الفلسفة في مكتبته، وعلى الرغم من ذلك، وما إن استقر الأمر للحاجب المنصور، استخرجها وأحرق بعضها وأتلف البعض، ليكتسب بذلك تقدير العلماء والعامة من المتدينين.

وأما الطب فكان أكثرَ العلوم المدنية التي أولاها الأندلسيون اهتمامهم؛ فاشتغلوا أولًا بدراسة الكتب القديمة، ككتاب ديسقوريدوس، الذي تداول منه الأندلسيون نسخًا بترجمة أسطفان بن باسيل المشرقية، ثم أهديت منه نسخة باليونانية للخليفة الناصر، فأعيد ترجمتها في قرطبة، وتم تعريب ما صعب على المشرقيين ترجمته من أسماء النباتات التي ورد ذكرها باسمها اليوناني في ترجمة ابن باسيل. ولم يتوقف الأندلسيون عند ذلك، بل كانت لهم تعليقاتهم على تلك الكتب القديمة؛ كتعليقات ابن جلجل على كتب ديسقوريدوس، وتعليقات الزهراوي على كتب القدماء ومعارضاته لبعض آرائهم. وقد تجاوزت شهرة الأطباء الأندلسيين الحدود في زمانهم؛ فكانت الملوك تفد إلى قرطبة لتستطبّ على أيدي أطباء الأندلس. ولم تقتصر شهرة أطباء الأندلس على زمانهم فقط؛ فقد ظل كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم الزهراوي الملقّب ب: (أبو الجراحة الحديثة)، الذي ضم وصفًا ورسومًا لمائتي جهاز جراحي اخترعهم الزهراوي، يستخدم كمرجع أساسي في الجراحة في

أوروبا العصور الوسطى، كما ترجم ألبيرتوس ماغنوس بعض أعمال ابن جلجل إلى الغرب.

وكانت عناية أهل الأندلس بنشر العلم تفوق كل ما يتصوره العقل البشري؛ فكانوا إذا فتحوا بلداً أو مدينة أخذوا بإنشاء مسجد ومدرسة، وكأنّهم يقصدون بذلك أنّ نشر الدين والعلم لازم لتهذيب الأمم وتثقيفها. وقد انتشرت المدارس في مدن الأندلس ومعظم قراها، أما المدارس الكبرى التي يصحّ أن تسمى بالجامعات فكانت موزّعة على بعض المدن الأندلسية، وفي طليعتها قرطبة وإشبيلية والمرية وغرناطة، وكذلك المساجد؛ فقد جعلوها أماكن للعبادة وجامعات للعلم، فكانت الإشعاع الأول لحضارتِهم.

والحق أنّ الأندلسيين كانوا يتمتعون بميل ورغبة شديدة نحو العلم والمعرفة. وكان الرجل ينفق كل ما عنده من مال حتى يتعلم، ومتى عرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال ويشير الناس إليه بالبنان وينبه قدره ويعلو ذكره بين الخاصة والعامة.

وفاض نور العلم على الرجال والنساء، ولقد كانت الأندلس في عهد بني أمية إلى عهد الموحدين سعيدةً بالكثرة من الملوك الذين كانت لهم مشاركة في العلوم والفنون .